الرحيل

للآنسة الشاعرة نازك الملائكة

سنرحلُ، لاحَ صباحٌ عميقْ .. وراء السَّوادْ
ولم يبقَ إلاَّ ضبابٌ خفيفْ يلفُّ الوهادْ
ويحلُم مكتئباً في عيونْ .. طواها السُّهادْ
وصاغت مع الليلِ أغنيةَ الرحلةِ القادمهْ
إلى أفقٍ كوكبيِّ الستورْ
بُعدٌ جذورْ ..

وراءَ منازلِنا القائمهْ

سنرحلُ، فالأنجمُ الواعداتْ تشيرُ لنا
أصابعها الذهبيَّةُ المخمليَّـــةُ في دَرْبِنا
تطرِّزُ كلَّ غدٍ قادمٍ بخيـــوطِ المُنى
تقودُ خطانا خلالَ الشعابِ الطوالِ المعضَّهْ
سنرحلُ بعد زمانٍ قصيرْ
وعصرٍ صغيرْ

فلم تبقَ من ليلِنا غيرُ ومضهْ

كلمة « صرير » في المقطع الاخير سوادها « خرير »

ومن سنوات الاسار المزق من الف ظلمة
تلفف مدى أسوداً لا تمس ديا جيه نجمة
ستبدلنا حافة الكأس فطرة حب وبسمة
وتحملنا عربات الكواكب عبر الحزون
وراء بحار الندى والظلال
وحيث الجمال
يمس ، ويشربه المتعبون

وداعاً صحارى العويل فقد حان فجر السنين
وآن لنا أن نجوب البحار مع الراحلين
عطشنا طويلاً وكانت كؤوسك ملأى أنين
يفوح الفراغ عليها وموكبنا الباحث
تجرع حتى كؤوس الدموع
وثار الضلوع
وجن به شوقه اللاهث

وفي الغد من بعدنا إن أطل جبين القمر
ولامس ضوء النجوم الشاوى سرير الهجر
ورن مع الليل صوت بعيد الصدى واندثر
كما رن يسأل عنا ، وأين رمتنا البحور ؟
فقولي له : إننا لن نعود
لأرض القيود
فقد أشرق الفجر منذ عصور

انهاض الشعب

هندسة الماء في مصر

للمرحوم حبيب شوقي الفيومي

النيل وجده هو مصر ولولاه ما كانت شيئاً يذكر . وهو مصدر العمران فيها وبه تقوم حياتها . ومهما يصب وادي النيل من ضر أو شر فهو أمر يمكن تلافيه ما استقامت لها أمور النيل . فينظر المصلحون إليه كلما أحاطت بهم الكوارث وليطلبوا لديه الخلاص اذا حزبتهم الخطوب . ومن حسن صنع الله بوادي النيل أنه لا يهبط إلينا بين جبلين ولا يمر بنا في تضيف[1] ضيق من الأرض ولكنه ينساح الهوينى بين صحراوين لا ترتفعان عن مجراه إلا قليلاً . وان هاتين الصحراوين أرض سهلة غير بالغة الصلابة وأنه لا حد لاتساع الصحراء الغربية منها ولا نظير لسهولتها . وليس من المستساغ أن يقذف المصريون بماء النيل في بحرها الشمالي ولديهم ذلك البراح الأعظم بل جنة النيل المستقبلة وهم مع ذلك ، أو لأكثرهم ، يتضورون جوعاً . ولولا ما تسعفهم به الأقطار الأخرى من الغلات لماتوا من الجوع ذلك كله والأمر ميسور لهم جداً . متى كان لديهم مسكة من عزيمة أو تصميم ولكن القادة والسادة المتعلمون في مصر لا يتعلمون لكي يعملوا أو يجتهدوا في خدمة بلادهم بل انهم يتعلمون ليحكموا وينعموا ولكي يأخذوا لأنفسهم أوفى نصيب من الغنى مع أوفى نصيب من الراحة والدعة أما استعمار الصحراء واما استغلالها فهو أصدى شيء عن أفكارهم وعن همومهم ومطامعهم . لأنهم لا يريدون أن يتركوا مباهج المدن ومعاشها ولذاتها ومرافقها ومسارحها وسيراتها ، الى بضعة أيام أو شهور يقضونها في الصحراء . لكي يبذلوا من أنفسهم أدنى جهد لتعمير مصر أو جلب الرخاء الى أهلها . وما لهم ولهذا وجيوبهم عامرة بالمال والغذاء موفور لهم واللباس ميسور على أتم الوجوه وأكملها . واذا خرجوا الى الصحراء ففي تتاح لهم اذن فرص البطالة وما فيها من المؤانسة والحياة الرتيبة الرخيمة . ولأي شيء إذن قد حملوا على

---

(١) الضيق الضيق بين جبلين

الشهادات العالية اذا لم يكافأوا عليها بحياة (الديوان) وسلطته ورياسته وما يتبع ذلك من درجات ومرتبات . إن هؤلاء السادة يحبون العظمة ولكنهم يتجنبون المغامرة . ويريدون الغنى ولكنهم لا ينالونه إلا سحتاً مغتصباً من الأيدي والأفواه من دافعي الضرائب والكادحين الأشقياء من مواطنيهم بل لقد لُقِّبوا بمصهر حتى حولوا كلمة (المغامرة) عن معناها الأصيل العظيم الى معنى المغازلة والمطاردة الماجنة . ان ثمة بوناً شاسعاً بين ما تطلبه هؤلاء السادة وبين ما اختاروه لأنفسهم من طرق المعيشة والعمل . ومنذ كانت الصحراء والماء هما مجالهم الأسمى ومثلهم الأعلى فإنهم والعمل النافع على طرفي نقيض .

لا شك في أن الأرض في وادي النيل تنحدر من الجنوب الى الشمال . وقد أجمع الثقاة على أن درجة الحدود فيها هي ثمانية أجزاء من مائة جزء من المتر الواحد في كل ألف متر . فاذا فرض ان المسافة بين مدينتي المنيا والقاهرة هي مائتا ألف من الأمتار فان المستفاد من ذلك ان سطح ماء النيل عند المنيا يرتفع عن سطحه عند القاهرة بمقدار ستة عشر متراً ومدلول ذلك أنه إذا فرض أن سطح الصحراء غرب القاهرة يرتفع عن سطح ماء النيل بمقدار ستة عشر متراً لكان من الممكن شق ترعة تأخذ من النيل عند المنيا فتخترق الصحراء غرباً وتسير من الشمال الى الجنوب حتى تحاذي القاهرة وسط الصحراء وتكون درجة الحدود فيها بين المنيا والقاهرة أربعة أمتار اذا كان عمقها ستة أمتار وعمق مأخذها من النيل مترين . ولقد أنشأ الفاطميون بالأمر قديماً ترعة الاسماعيلية لكي يسقوا منها المدن التي عمرت بعد حفر قناة السويس فخصبت منها قفار الصحراء شرق الدلتا واحيت موات الأرض فيها . ولعلهم لولا قناة السويس وسقي المدن التي تمر بها ما فكروا في فتح تلك الترعة . كذلك كان شق القناة وسط الصحراء دليلاً قاطعاً على أن حفر الترع في الصحراء أمر سهل ممكن التحقيق لمن يريده . واذا كانت ترعة الخليج قد اخترقت الصحراء في قديم الزمن حتى بلغت خليج السويس فوصلته بالنيل فان شق ما هو أوسع وأعمق ، مع تقدم العلوم واكتمال الآلات ، يكون اليوم أسهل وأيسر .

فها هو ذا عمل يجعل أرض مصر من أخصب أقطار الدنيا وأكثرها عمراناً وازدهاراً . ثم هو مع ذلك لا يكلف من المال كثيراً ازاء ما يجلبه من الرغد والاتساع في رقعة العمران . ولا يستغرق القيام به أكثر من خمس سنين . وهو أن تشق ترعة عميقة واسعة تأخذ من النيل امام مأخذ الترعة الاسماعيلية وان يكون مجرى هذه الترعة متجهاً الى الغرب حتى تنتهي الى منخفض القطارة . وهناك في أول المنخفض تنقسم الترعة الى فرعين يجري أحدهما على حافة المنخفض الجنبي ثم يجري الآخر على الحافة اليسرى ثم يدوران حوله ، إذا كان الماء كافياً . حتى يتلاقيا في حافته الغربية . وعلى مدى جريانهما

حول المنخفض تنزل منها الجداول والقنوات متجهة الى ناحية انتفاخ حيث تنشأ القرى والمساكر والمدن . ذلك على أن يترك انتفاخ ابو سير المعين لكي يكون بحيرة تأخذ ماءها من البحر . ويصب فيها ما عساه أن يفيض من تصريف الأرض المزروعة . ولقد كان من رأي بعض المهندسين أن يطلقوا ماء البحر في هذا المنخفض ليفيدوا من هبوط الماء فيه قوة كهربائية ، وهذا مشروع طيب غير انه ناقص . ثم نقصه أنهم لم يفكروا في زراعة المنخفض . فمن المستطاع تحقيق ما أوردوه بقوة من ماء النيل وقوة أخرى من ماء البحر فيكون امتداد العمران وانشاء القفر والعزب أسلاً جوهرياً ، وتكون الكهربة فرعاً متمماً له وآتياً بعده ، فتكون الكهربة إذ ذاك في وسط البلدان التي ستنشأ فيستغلها السكان في زراعتهم وصناعاتهم وفي دورهم . وإذا بقيت قوة كهربية بعد ذلك فلا ضير من طلبها بوادي النيل . ومن نقص ما شرعوا فيه أيضاً أن القوام على استجلاب الكهرباء من ماء البحر سيجدون أنفسهم منفردين الى الأبد بين الصحراء وماء البحر ثم مع ذلك مسئولون عن توصيل قوتهم الكهربية الى العمران الذي يبعد عنهم أميالاً عديدة . إن هذه الترعة ، بل هذا الفرع الذي أشير بحفره هو المنفذ الأول لمصر ، ومتى بدىء به فليتفرع منه فروع يكون أولها غرب شمال قرية الوراق ثم يتجه الى الشمال حتى ينتهي الى الترعة النوباوية ثم تتوالى الفروع بعد ذلك متجهة الى الشمال فيتلاقى بعضها مع الترعة المحمودية وبعضها مع بحيرة مريوط ، وهكذا الى الغرب حتى يكون سيف البحر حاشية على أطراف الفياض والرياض . وعند البدء بالعمل يحسن القيام بتغريم الفروع مع حفر الأصل في وقت واحد ثم يستجلب الماء فوراً ويدفع الى الفروع فليس من الحزم تعطيل ما تم حتى ينجز الباقي ويكون ذلك بإقامة قنطرة أمام كل فرع تكون فيها أبواب تفتح وتغلق حتى لا ينطلق الماء الى الحافرين وهم يعملون ثم تكرق القنطرة بعد ذلك أداة لرفع الماء أمام كل فرع . وفي انتهاز الوقت رفع مالي يساعد استنجازه على النهوض بسائر العمل وانفاذه . ولئن بدا بعد ذلك ان الماء في بعض شهور العام لا يكفي لستي هذه البسائط الواسعة في زراعتها مرتين كل عام ما يكفي ويفي ، فكذلك كان الشأن في مصر العليا والوسطى قبل انشاء المستاة (الخزان) في أسوان وذلك الى أن يحين الوقت الذي تنشأ فيه المساقي الأخرى فتروي هذه البسائط طول العام . فان ري الصحراء بماء الفيض ولو مرة واحدة كل عام خير لنا من تركه سدى في البحر .

[للبحث بقية]